العقارب صفاتها وأوصافها في الشعر الأندلسي

د. نصيب عاشور نصيب محمد (*)

*** نبذة عن الموضوع .**

العقرب من الحشرات شديدة الخطوة علي الإنسان، وعلي الحيوانات الحية الأخرى، فهذه الحشرة تحمل سمًا قاتلًا، يهدد حياة الكائنات الحية، وقد سعي الإنسان جاهدًا؛لأتقاء شرها؛ خوفًا علي حياته منها .

والعقرب" دويبة من الهوام، تكون للذكر، والأنثى بلفظ واحد، واحدة العقارب، وقد يقال للأنثى:عقربة، وعقرباء ممدود غير مصروف، ويصغر على عقيرب، كما تصغر زينب على زيينب، والذكر عقربان بضم العين، والراء، وهو دابة له أرجل طوال، وليس ذنبه كذنب العقارب." (١)

وتعيش العقرب في كثير من البيئات مثل: البيئة الجبلية، والصحراوية، وتعيش- أيضًا- في البيئة الزراعية؛ وفي القرى، والريف؛ وتكثر في مناطق القازورات، والأماكن المهجورة، وتنتشر العقرب في مواد البناء مثل: أحجار البناء، والطوب، والأسمنت... وغيرها من مواد التشيد.

" وهناك العديد من أنواع العقارب المنتشرة حول العالم، ويمكن العثور عليها بأشكال، وأحجام مختلفة؛ بحيث تختلف خصائصها، ودرجة خطورتها من واحدة إلي أخرى. "(٢)

* أسباب اختيار الموضوع :-

ومن أهم الدوافع؛ التي حدت بالباحث إلى دراسة وصف العقارب في الشعر الأندلسي؛ أنه من الموضوعات؛ التي تعكس جانبًا من جوانب الطبيعة الحية

(*) دكتوراه في الأدب والنقد – الأدب الأندلسي.

١ - شرح شافية ابن الحاجب ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ) حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما : محمد نور الحسن - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، محمد الزفزاف - المدرس في كلية اللغة العربية ، محمد محيى الدين عبد الحميد - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م صـ ٢٣٨

٢ - موقع المرجع ، أنواع العقارب الطائرة وأسمائها بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/١م

في الأندلس وتعكس- أيضًا- علاقة الإنسان بغيره من الكائنات الحية مثل: العقارب، والنمل والنحل ... وغيرها .

- رصد شكوى شعراء الأندلس من هذه الحشرات الصغيرة ؛التي تأرق عليهم حياتهم، وتبعث فيهم الخوف، والرعب .

- رصد الأشعار؛ التي تعكس صور العداء، والكراهية من بعض الشعراء؛ لبعض فئات المجتمع، ووصفهم بالعقارب؛ لما يحدثوه من أذى بالأخرين.

- الوقوف علي الأسباب، والدوافع الخفية؛ التي دفعت شعراء الأندلس لوصف هذه الحشرات ذميمة الشكل، والهيئة في الشعر الأندلسي.

* منهج الدراسة :-

من أجل تحقيق أهداف البحث، سيقوم الباحث بالارتكان إلى المنهج الوصفي التاريخي من ناحية، واستعان ببعض المناهج الأخرى، وهو بصدد دراسة وصف العقارب في الشعر الأندلسي؛ لأنه على يقين تام؛ بأنه ليس هناك منهج بعينه، يستطيع أن يتصدى للنصوص الأدبية برمتها، ويفكَّ كل مغاليقها.

-وصف العقارب في الشعر الأندلسي .

شهدت عصور الأدب المختلفة، والمتاعقبة علي مر الأزمان، وجود العقرب وانتشاره، وقد أشار كثير من الشعراء العرب؛ لوجود هذه الحشرة القاتلة، وبث بعض الشعراء الأندلسيين فى أشعارهم شكواهم من العقارب؛ "وما ذلك إلا لصلة هذه الحيوانات بالإنسان صلة سلبية، ذات تأثير لا ينكر فى حياته، وفى راحته، وأمنه، وتعريض جسمه للأمراض، والآلام المبرحة المقلقة إلى جانب ما تحدثه فى نفسه من ألوان الخوف، والهلع، وما يترتب عليهما من اضطراب نفسي."(١)

وقد أشار الشاعر الأندلسي مروان الطليق (٣٥٢ه – ٤٠٠ه) لسم العقارب، وما تحدث من فزع في القلوب؛ ولكن الشاعر-هنا- مزج هذا الخوف، والرعب بالغزل، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر الأندلسي مروان الطليق قائلاً:الوافر

١ - وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، حازم عبد الله خضر ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد سنة النشر ١٩٨٧م صـ ١٦٥

لـــه وَجـــهٌ يُحسِّـــن وَجـــهَ عُـــذري إذا مـــا رُحـــتُ مَخلـــوع العِـــذارِ
كـــأَنَّ عقـــاربَ الأَصـــداغِ منـــه عَقـــارِبُ سُـمُّها فـــي القلـب ســار(١)

أكدت دراسات علماء الأحياء" توافر أكثر من(١٧٠٠) نوع من العقارب بعضها خطير، وسام ، وبعضها غير سام، ولا ينطوى علي أي خطر، وأن هذه الأعداد من الأنواع متوفرة في جميع قارات العالم باستثناء القضبية الجنوبية."(٢)

وتتمتع العقارب بعدة ألوان من أشهرها اللون الأسود، والأخضر، والأصفر، وهى قواتل، وأشدها بلاء الأخضر، ولها ثمانية أرجل، ويقول الدميرى:" ومن عجيب أمرها؛ أنها تقتل الفيل، والبعير بلسعها." (٣)

وقد مزج الشاعر الأندلسي يوسف بن هارون الرمادي (٣٠٥ هـ – ٤٠٣هـ) بين خوفه من العقارب؛ التي ملئت أكباده جراحًا، وبين غزله للمحبوبة ، وحبه، والشاعر- هنا- ربط بين حالته النفسية؛ التي تهيم حبًا، وعشقًا للمحبوبة؛ حتي جعلته، يكتوي بنار هذه الحب؛ الذي جعله الشاعر مثل: لدغة العقرب، ولسعته، فكلاهما يئلم أكباد الشاعر، فاللهيب محسوس، وله وقعه في نفسية الشاعر، وفي هذه المعاني، أنشد يوسف بن هارون الرمادي قائلاً : مخلع البسيط

نَفســـي فـــدى لمَّـــةٍ وَخـــدٍّ قَـــد جمعـــا اللَّيـــل وَالصَّـــباحا
وَعَقـــربٍ سُـــلِّطَت عَلينـــا تَمـــلأُ أَكبادَنـــا جِراحـــا
قَـــد طـــارَ مِـــن شَـــوقه فـــؤادي فَصـــارَ شَـــوقي لَـــهُ جَناحـــا(٤)

والعقارب ربّما باتت في لحاف الرّجل اللّيلة بأسرها، وتكون في قميصه عامّة يومها، فلا تلسعه، فأمّا سائر العقارب، فإنها تقصد إلى الصّوت، فإذا ضربت

١ - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتاني الطيب، أبو عبد الله محمد بن الحسن (المتوفى: نحو ٤٢٠هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الشروق، عنوان الناشر: بيروت – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨١ م ق ٢ صـ ١٢٩

٢ - موقع المرجع ، أنواع العقارب الطائرة وأسمائها بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/١م

٣ - موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، عبد اللطيف عاشور، القاهرة، سنة النشر ٢٠٠٠م صـ ٢٠٧

٤ - ديوان شعر ابن الرمادي يوسف بن هارون الرمادي ، جمعه وقدم لع : ماهر زهير جرار، بيروت ، المؤسسة العربية الدراسات والنشر ، الطبعة الأولي سنة ١٩٨٠م صـ ٦٠

إنسانًا فرّت كما يصنع المسيء الخائف للعقاب، والعقرب لا تضرب الميت، ولا المغشيّ عليه، ولا النائم إلّا أن يحرك شيئًا من جسده، فإنها عند ذلك تضربه.

" ويوجد حوالي ٢٥ نوعًا من العقارب؛ التي تمتلك سمًا قاتلاً وقادرًا علي قتل البشر، ويعد السبب الرئيسي؛ لوجود العقارب في المنازل هو البحث عن طروف معيشية أفضل ، حيث ستهرب من (الحرارة الشديدة، الجفاف، المطر ، البرد القارس ... وغيرها)" (١)

ويبدو أن معظم الشعراء الأندلسيين؛ الذي تصدوا لوصف العقرب، وحياته، وصفاته، قد ربطوا بين ألمهم من لدغة العقرب، ولسعته، وبين ألامهم، وحرقتهم من المحبوبة، وألم الهوى، فقد ربط الشاعر الأندلسي الصاحب بن عباد (٣٢٦ه – ٣٨٥ه) بين ألم الهوى في الكبد، وبين لدغة العقرب، فأنشد الصاحب بن عباد في هذه المعاني قائلاً : السريع

يا شادِناً في صَدغِه عَقرَب ... ما يَستَجيبُ الدَهرَ لِلراقي
يَسلم خَدّاهُ عَلى لدغِها ... وَلَدغُها في كَبدي باقي (٢)

ومن أعاجيب العقرب، أنها لا تسبح، ولا تتحرك إذا ألقيت في الماء؛ متى كان الماء ساكنًا أو جاريًا؛ والعقرب تطلب الإنسان، وتقصد نحوه، فإذا قصد نحوها؛ فرّت، وهربت، وتقصد- أيضًا - نحو الإنسان، فإذا ضربته هربت.

وفي دراسة " لموقع ستروم لخدمات التعقيم، ومكافحة الحشرات، والآفات العامة نشر" إن العقارب هي أعضاء في عائلة العنكبوت مع ما يقرب من (٢٠٠٠) نوع مختلف، من حسن الحظ أن ما يقرب من (٣٠ أو٤٠) نوعًا فقط من العقارب سامة للإنسان؛ تحمل السم في ذيلها، وتوجد بشكل شائع في الظروف الصحراوية؛ يمكنها – أيضًا- العيش في الغابات؛ كانت هذه المخلوقات منذ ملايين السنين؛ بفضل

١ - موقع المرجع ، أنواع العقارب الطائرة وأسمائها بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/١م
٢ - يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) المحقق: مفيد محمد قمحية : دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م جـ ٣ صـ ٣٠٢

مهاراتها في البقاء علي قيد الحياة؛ في ظل ظروف بيئية صعبة؛ والتي تسمح لها بالتكيف مع تغيرات الطقس المختلفة، والظروف المناخية "(١)

وقد وصف الشاعر الصاحب بن عباد (٣٢٦ه – ٣٨٥ه) عقارب صدع المحبوبة، بالصديق، والمحب، ويطلب الشاعر من محبوبته؛ أن تكف عن إذائه بجمالها، فأن لم تفعل ذلك فلتداويه، بترياق ريقها من لدغة حبها القاتل، وفي هذه المعاني؛ أنشد الشاعر الصاحب بن عباد قائلاً : الطويل

غَـزالٌ لَـهُ وَجـهٌ يَنـالُ بِـهِ المُنـى يَرى الفَرضَ كُلَّ الفَرضِ قَتلَ صَديقِهِ
فَإِن هُوَ لَم يَكفُف عقارِبَ صَدغِهِ فَقولوا لَه يَسمح بِتِرياقِ ريقِهِ(٢)

وترتبط العقارب مع بعض الحشرات بعدة علاقات فبينها "وبين الخنافس مودة، والمودّة غير المسالمة، والمسالمة: أن يكون كل واحد من الجنسين، لا يعرض للآخر بخير، ولا شر بعد أن يكون كل واحد منهما مقرّبًا لصاحبه، والعداوة أن يعرض كل واحد منهما لصاحبه بالشرّ، والأذى، والقتل، ليس من جهة أن أحدهما طعام لصاحبه." (٣)

وقد ربط الشاعر الأندلسي الصاحب بن عباد (٣٢٦ه – ٣٨٥ه) بين أذى العقارب، وبين فصول السنة، وخاصة فصل الشتاء الذي من المفترض، أن يقل فيه أذى العقارب، بل تكاد أن تختفي في فصل الشتاء، كما زعم الشاعر، ولكنه لم يلتمس ذلك، فأنشد الصاحب بن عباد في هذه المعاني قائلاً : الوافر

وَعَهدي بِالعَقارِبِ حينَ تَشتو تُخَفِّفُ لَدغَها وَتقِلُّ ضرّا
فَما بالَ الشتا آتٍ وَهذي عَقارِبُ صدغِهِ تَزدادُ شَرّا (٤)

١ - موقع ستروم " لخدمات التعقيم ومكافحة الحشرات والآفات العامة" بعنوان " لماذا توجد العقارب في منزلي ؟ وكيف أتخلص منها ؟ بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠٢٣م

٢- الكشكول، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (المتوفى: ١٠٣١هـ) المحقق: محمد عبد الكريم النمري ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى(١٤١٨هـ -١٩٩٨م) جـ٢ صـ ٢٢٥

٣- الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ جـ ٥ صـ ١٩٠

٤- يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل جـ ٣ صـ ٣٠٢

وفي حياة العقارب، وطبائعها أعجوبة كبرى، حيث أن العقارب "مائية الطّباع، وإنها من ذوات الذّرو(١) والإنسال، وكثرة الولد، كما يعتري ذلك السّمك، والضّبّ، والخنزيرة في كثرة الخنانيص(٢) ومع ذلك إن حتفها في أولادها، وإن أولادها إذا بلغن، وحان وقت الولادة، أكلن جلد بطنها من داخل، حتى إذا خرقنه خرجن منه، وماتت الأمّ."(٣)

وقد وصف الشاعر الأندلسي ابن دراج القسطلي (٣٤٧ هـ - ٤٢١هـ) العقرب بالعوجاء؛ التي تكثر اللسع أثناء سيرها صباحًا ومساءً، وفي هذه المعاني، أنشد ابن دراج القسطلي قائلاً : الطويل

إِذَا العقربُ العوجاءُ أَمْسَتْ كأنما أَثَارَتْ عليها ثَأْرَ عادِيَةِ اللَّسْعِ
وراقَبَها نجمُ الثُّرَيَّا بِمَطْلَعٍ كَمَا انْفَرَقَتْ فِي العِذْقِ ناجِمَةُ الطَّلْعِ(٤)

وقد اهتم علماء الحشرات، وعلماء السموم، والدارسون بدراسة سموم العقارب؛ للوقوف على مدى خطورتها على الكائنات الحية، وقد رصد علماء الحشرات، وعلماء السموم حقائق مهمة في لسعة العقرب للإنسان، ولسعة العقرب للعقرب نفسها، ومن أعاجيب ما في العقرب، أنهم وجدوا أن" عقارب القاطول يموت بعضها عند لسع بعض، ثم لا يموت عن لسعها شيء غير العقارب، ونجد العقرب تلسع إنسانًا، فيموت الإنسان، وتسلع آخر فتموت هي، فدلّ ذلك على أنها كما تعطي تأخذ، وأن للناس- أيضًا- سمومًا عجيبة، ولذلك صار بعضهم إذا عضّ قتل." (٥)

وقد وصف الشاعر الأندلسي ابن دراج القسطلي خوفه الشديد من عقارب صدره، ومن حيات قلبه، فعقارب صدره دائمة اللسع، وحيات قلبه سليمة، ومن ثم عقد الشاعر مقارنة بين أذي هذه الحيوانات، وبين حماية الملك الجبار؛ الذي سجدت

١- الذرو: الذرية.
٢- الخنانيص: جمع خنّوص، وهو ولد الخنزير.
٣ - الحيوان، الجاحظ جـ ٥ صـ ١٩١
٤ - ديوان شعر ابن دراج القسطلي صـ ٢٥٤
٥ - الحيوان، الجاحظ جـ ٥ صـ ١٩٤

لطاعته، ولتاجه الفرنج، والروم؛ ولكن هذا الملك لم يحم الشاعر من أذى هذه الحشرات؛ وفي هذه المعاني أنشد الشاعر ابن دراج القسطلي قائلاً: الكامل

وعقـارِبٌ صـدري بِهِـنَّ مُلَسَّـعٌ وأَسـاوِدٌ قلبـي بِهِـنَّ سَـليمُ
فكـأَنَّنِي لَـمْ يَحْمِنِـي المَلِـكُ الَّـذِي سَـجَدَ الفِـرَنْجُ لتاجِـهِ والـرُّومِ (١)

وقد واستمر الشاعر الأندلسي ابن ابن دراج القسطلي في ربطه بين سموم العقارب وأذاها، وبين سموم الحيات، وأذاها- أيضًا - ولكن الغريب في هذا الأمر، أن الشاعر زعم؛ أنه داوى سموم العقارب بسموم الحيات، والعكس صحيح ، وزعم الشاعر- أيضًا- أن ما فعله بسموم العقارب، وسموم الحيات، ومدواته بعضها ببعض، قد جعل سموم هذه، وتلك تنفذ، ولن تنزف أحدى هذه الحشرات، والحيوانات سموم أخرى في جوف الليل الحاطب، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن دراج القسطلي قائلاً : الكامل

كـمْ أَنشَـبَتْ فِـيَّ الخطـوبُ مخالِبـاً حَتَّـى انْثَنَـتْ عنِّـي بغيـرِ مخالـبِ
وشَـفَيْتُ سُـمَّ عَقـارِبٍ بأَسـاوِدٍ ودَفَعْـتُ سُـمَّ أَسـاوِدٍ بعقـارِبِ
حتـى نَـزَفْنَ سُـمومَهُنَّ فلَـمْ يُـرَع مـن نافِثـاتِ السُّـمِّ ليـلُ الحاطِـبِ (٢)

واختلف البعض في معني الحمة؛ التي توصف بها العقرب، فقالوا:" العامة تخطئ في لفظ الحمة، فتشدد الميم منها، وهي مخففة عند العرب، لا يجوز تشديدها، وتخطئ في تأويلها، فتظن أن الحمة: الشوكة التي تلسع بها، وليس هو كذلك، إنما الحمة: السّمّ: سمّ الحية، والعقرب، والزنبور، ويقال للشوكة." (٣)

وقلة من الناس نفوسهم سامة من ذوات الحمات، وهذه السموم الموجودة تثير في النفوس حرارة، تدفعها إلى اللدغ بحيث تجد الراحة في إلقاء السم في أجساد

١ - ديوان شعر ابن دراج القسطلي صـ ٣٥٧
٢ - ديوان شعر ابن دراج القسطلي صـ ١٦٧
٣ - الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) المحقق: حاتم صالح الضامن ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ -١٩٩٢م) جـ ٢ صـ ٧٣

الآخرين، وبعض الناس نفوسهم مثل: نفوس العقارب، قد اشتملت على السم الزعاف، ولا تستريح حتى تلقي سمها في أجساد الناس.

ونصح الشاعر ابن زيدون (٣٩٣ هـ - ٤٦٣هـ) الإنسان أن لا يحزن علي ما فاته، ولا ييأس، وكذلك نصحه بعدم الفرار؛ مما نابه من محدثات الدهر، فقد يصيبه مصاب؛ فيما سعي جاهدًا لإنجازه، وقد شبه ابن زيدون ذلك بمن تصيبه العقارب وتلسعه، وكأن بعض البشر؛ الذين يمثلون العقارب في نظر الشاعر، لم يكن بينهم، وبين الشاعر مودة، وألفة تذكر في أوقات اللين، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر الأندلسي ابن زيدون قائلاً : مجزوء الوافر

عَلى ما فاتَ لا يَأسى وَمِمّا نابَ لا يَجزَع
تَدِبُّ إِلَيَّ ما تَألو عَقارِبُ ما تَنَي تَلسَع
كَأَنّا لَم تُؤالِفنا زَمانٌ لَيِّنُ الأَخدَع (١)

وربط بعض الناس بين سم الحاسد، وسم العقارب من حيث إن الحاسد الذي تعتريه حرارة الحسد، فلا يستريح إلا بعد أن يصيب بسم عينه إنسانًا ذا نعمة؛ فيصيبه بالعين؛ حتى تزول النعمة عنه، والعين حق كما أخبر رسول الله ﷺ، فتأمل المشابهة بين الحاسد؛ الذي يصيب بالعين، وبين العقرب، التي تحتوي على ذلك السم، وهذا الحاسد العائل؛ يشعر بحرارة في جسده؛ إذا رأى صاحب النعمة، ولا يرتاح حتى يصيبه بعينه، فتسكن نفسه.

وقد شكى الشاعر الأندلسي ابن زيدون من الدهر وتقلباته، ويبدو أن الشاعر-هنا - عكس حالته النفسية السيئة؛ التي تنم عن غضبه الشديد تجاه بيئته؛ وما يسودها من تقلبات سياسية، واقتصادية، وحربية، كان لها بالغ الأثر علي تشكيل نظرة الشاعر التشاؤمية تجاه مكونات بيئته، وكان أبرزها شكواه من الدهر؛ متمثلاً ذلك في رمز العقارب شديدة الخطورة علي الشاعر وحياته، وقد بث الشاعر ذلك من خلال عقاربه؛ التي نهسته في أثناء سيرها، والتي كدرت عليه صفو حياته، وبعثت فيه الرعب والخوف، وبثت فيه القلق، والهلع، فأنشد الشاعر الأندلسي ابن زيدون معبرًا عن حالته النفسية السيئة قائلاً: الخفيف

١ - ديوان شعر ابن زيدون ، ابن زيدون ، تحقيق : يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية سنة النشر ١٩٩٤ م صـ ١٧٨

مَن عَذيري مِن رَيبِ دَهرٍ خَؤونٍ كُلُّ يَومٍ أُراعُ مِنهُ بِغَدرِ
كُلَّما قُلتُ حاكَ فيهِ مَلامي نَهَستني مِنهُ عَقارِبُ تَسري (١)

وينتقل بنا الشاعر ابن عمار(٤٢٢ه – ٤٧٩ه) من مشهد الرعب، والهلع، والخوف الذي سيطر علي ابن زيدون تجاه العقارب، التي تلسعه إلي مشهد أقل فزعًا؛ بل أنه مشهد الغزل، والحب؛ فالشاعر ابن عمار استطاع أن يوظف ألم لدغة العقرب ولسعته؛ لوصف شدة حبه للمحبوبته؛ التي هي أصبحت عقرب حبه؛ ونار عشقه، وفي هذه المعاني أنشد ابن عمار قائلاً : الطويل

لفاتكة الألحاظ وهي عليلة وناعمة الأعطاف وهي قضيب
كسا الخجل المعتاد صفحة خدها رداء طرازاه ندى ولهيب
ودبت من الأصداغ فيه عقارب لها في فؤاد المستهام دبيب (٢)

واختلفت نظرة الشعراء الأندلسيين؛ لوصف العقرب، وخاصة نظرتهم؛ لوصفهم للدغته، ولسعته، ووصفهم– أيضًا- لمدي الألم الذي تحدثه هذه اللدغة، واللسعة؛ ومن هؤلاء الشعراء من أراد أبراز مدى الأذى، والضرر؛ الذي تحدثه هذه الحشرة القاتلة .

وبعض الشعراء الآخرين، أرادوا أبراز التورية، والتكنية عن مدى حبهم، وكثرة عشقهم للمحبوب من خلال استخدام العقرب، ولسعته رمزًا يبثون من خلاله شوقهم، وحبهم للمحبوبة؛ التي تبعث فيهم الألام نفسها؛ التي تحدثها لدغة العقرب، ولسعته، بل كانت سموم العقارب؛ لدى الفئة الأولي قاتلة، وكانت السموم نفسها؛ لدي الفئة الثانية حبًا وعشقًا.

ومن شعراء الفئة الثانية؛ الذين كووا بسموم الحب، ونار العشق الشاعر الأندلسي ابن اللبانة الداني (؟ ه – ٥٠٧ه) وقد وصف ابن اللبانة عقارب المحبوبة، ولدغتها، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر الأندلسي ابن اللبانة قائلاً:الكامل

١ - ديوان شعر ابن زيدون، ابن زيدون صـ١١٥
٢ - (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، أبو العباس أحمد بن بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ) المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١م جـ ٢ صـ ١٠٥٤

نبت الصبا في صحن خدي روضة لو لم يدب الصُدغ فيها عقربا
وكفاك حسنُ الحسن نوعيه فمن برد أذيب ومن عقيق ألهبا(١)

أما الشاعر الأندلسي ابن سارة الأندلسي (؟ ه – ٥١٧ه) فقد كان من شعراء الفئة الأولي؛ الذين فزعوا من العقارب وأذاها؛ وخاصة في فصل الشتاء؛ فقد شكا الشاعر من لدغات العقرب تحت الغطاء في فصل الشتاء، وربما السبب في أحسس الشاعر، بانتشار العقارب في داره في فصل الشتاء؛ يرجع إلي حالة الدفء التي تسود مدينته الزهراء؛ التي منحته لحاف من الدفء؛ حتي أن البرد، لم يسلك له طريقًا؛ بسبب هذه الحرارة ؛ التي تنبعث من حرارة الكانون- أيضًا- والتي يبدو الشاعر بجوارها، وكأنه طفل رضيع ترضعه أمه حينًا وتبعده حينًا أخر، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن سارة الأندلسي قائلاً : البسيط

باتت لنا النار دریاقاً وقد جعلت عقارب البرد تحت الليل تلسعنا
زهراء قدت لنا من دفئها لحفاً لم يعلم البرد فيها أين موضعنا
لها حريق بكانون نطيف به كمثل جام رحيق فيه مكرعنا
تبيحنا قربها حيناً وتبعدنا كالأم تفطمنا حيناً وترضعنا (٢)

وهذا الحيوان، أو هذه الحشرة: أصناف منها الجرارة، والطيارة، وما له ذنب معقف، ومنها ذو اللون الأصفر؛ الذي يشبه الذهب في لونه، أو لون الأبنوس؛ وقد وصف الشاعر ابن سارة الأندلسي- أيضًا - العقارب حالة موتيها بشمس الشتاء في لوحة فنية بديعة الألوان، جميلة التعبيرات، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن سارة قائلاً : السريع

روض إذا الريح هفت نضضت مذهبة السن حياته
عقارب الشتوة مقتولة بالشمس منها حول حافاته

١ - ديوان شعر ابن اللبانة الداني صـ ٢٣
٢ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (المتوفى: ٦٥١هـ) هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١ هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بناية برج الكارلتون- بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٩٨٠م صـ ٣٦٥

لمـــا بـــدت فـــي أبنوســـيها ونورهـــا فـــي عســـجدياته
منمنمـــاً فـــي صـــفح كافورهـــا واوات همـــاز ولاماتـــه (١)

وقال الجاحظ: " أنه رأى العقرب، تلد من فيها؛ وتحمل أولادها على ظهرها، وهي على قدر القمل كثيرة العدد، والعقرب أشد ما تكون، إذا كانت حاملاً، ولها ثمانية أرجل، وعيناها في ظهرها، ومن عجيب أمرها، أنها لا تضرب الميت، ولا النائم، حتى يتحرك شيء من بدنه، فإنها عند ذلك تضربه."(٢)

وللعقرب بعض المسميات، وبعض الكنايات؛ فمن أَسمَاء الْعَقْرَب بالكنايات أم العريط، أم عريط، أسماؤه الشوشب، العنقفير، الفصعل، القصعل، العطربوس، الشبوة ، الرشك، الجرارة، وينومقيدة.

والشاعر ابن حمديس الصقلي من الفئة؛ التي عانت من انتشار العقارب، وشكا من قلقه، وخوفه من هذه الحشرة القاتلة؛ وقد أفرد للشكوى من العقارب الضارة قصيدة قدرها اثنان وعشرون بيتًا، فضلاً عن بعض الإشارات المبثوثة بين ثنايا شعره.

وقد نظم فى هذه القصيدة شكواه من هذه العقارب المؤذية المخيفة، التى جلَّت خطوبها، رغم صغرها، وحقارة شأنها، وتناول أحوالها فى تربصها بفريستها، ونفثها السم، وما يكون بعد ذلك من نتائج، وآثار فى الملدوغ بها، فهو يقول:الطويل

وَمشـرعَةٍ بـالْمَوتِ للطَّعْـن صَـعْدةً فـلا قِـرْنَ إنْ نادَتْـهُ يومًـا يُجيبهَـا
مُدَاخِلـةٌ فـى بَعْضـها خَلْـقَ بَعْضـها كَجوْشـن عظـم ثلَّمتْـهُ حُروبَهـا
تُـذيقُ خَفـيَّ السمّ مِـنْ وَخْـزِ إبْـرَةٍ إذَا لَسَـبَتْ مَـاذَا يُلاقِـى لَسِـيبهَا
وَتمهِلُ بالرَّاحـاتِ مَنْ لـم يَمُتْ لهـا إلـى حِـين خَاضَـتْ فـى حَشَـاهُ كُرُوبهَـا
لهـا طَعنـةٌ لا تَسْـتَبينَ لِنَـاظِرٍ ولا يُرْسِـلُ المِسْـبَار فِيهـا طبيبُهـا
نَسيتُ بِهـا قيسًـا وَذِكْـرَى طعينـهِ وقَـدْ دقَّ معناهـا وجلَّـت خُطُوبُهَـا

١ - قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد (المتوفى: ٢٤٧هـ) طبعة: مصر عام النشر: ١٢٨٤هـ - ١٨٦٦م صـ ٢٧٠

٢ - حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى، تحقيق: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م جـ ٢ صـ ١٨٥

يَحْمِـلُ مِنْهـا مـائع السُّـمِّ بغْتَـةً ... نَجيـعَ قُلـوب فـى الضُّـلوع دَبِيْبُهَـا
لَهـا سـقطةٌ فـى اللَّيْـلِ مُؤْذِيَـةٌ بهَـا ... إذا وَجَبَـتْ راعَ القُلـوبَ وَجِيْبُهَـا
وَنَقْـرٌ خَفِـىٌّ فِـى الشُّـخُوصِ كَأنَّـهُ ... بِكـلِّ مكـانٍ يَنْتحيـه رقيبُهَـا
وَمِـنْ كُـلِّ قُطْـر يُتَّقَـى شُـرّها كَمـا ... تَـذاءبَ فـى جُـنح الدجنـة ذِيبُهَـا
تَجِـئ كـأمِّ الشَّـبْل غَضْـبى توقَّدتْ ... وَقـد تـوَّجَ اليـافوخَ مِنْهـا عَسِـيبُهَا
بِعَـيْنٍ تَـرى فِيهـا بِعَيْنـك زرقـةً ... وإنْ قـل مِنْهـا فـى العُيـونِ نَصِـيبُهَا
حَكـى سَـرطانًا خَلْقُهـا إذْ تقـدَّمت ... وَقَـدَّم قَرْنَيْهَـا إلَيْـهِ دَبِيْبُهـا
وَتَالٍ مِنَ القُرآنِ "قل لَنْ يُصيبنَا" ... وَقـدْ حَـان مِـنْ زُهْـرِ الُّنجـومِ غُروبُهَـا
يقـولُ وسـقفُ البيـتِ يَحْذفُـه بِهَـا ... حَصـاةُ الـردى يـا ويَـحْ نَفْسـي تُصِـيْبُهَا
عـدوٌّ مِـن الإنْسَـان يَعْمُـرُ بَيتَـهُ ... فَكَيْـفَ يُـوَالى رَقْـدةً يَسْـتَطِيْبُها
وَلَـوْلا دِفَـاعُ الله عنَّـا بِلُطْفِـهِ ... لصُـبَّتْ مِـنَ الـدُّنْيَا عَلَيْنَـا خُطُوبُهَـا(١)

كما أشار إلى الحالة النفسية المضطربة؛ التى تهيمن على معظم الناس، حينما يعلمون أن هذه الآفة؛ تقطن فى منازلهم، وتحل بها، فهى تكدر عيشهم، وتنغص نومهم، وتشيع فى قلوبهم الخوف، والهلع، خاصةً؛ لأنهم لا يعلمون مكانها الحقيقى؛ الذى تتمركز فيه، فيتقوا شرها، ويتجنبوا آذاها، فقد تسقط عليهم بغتةً فى جُنْح الليل من أحد السقوف المرفوعة، وربما توجد فى شقوق الجدران، فخطرها– إذن- داهمٌ رهيبٌ، مفجعٌ مفزعٌ .

وتحول الشاعر ابن حمديس من نظرة الهلع ، والخوف الرهيب من العقرب؛ التي لا يعرف لها مكان محدد في منزله؛ إلي نظرة أكثر تفاؤل؛ فقد وصف ابن حمديس العقرب؛ التي مسكنها قلبه، بل وصفها الشاعر بأنها عقرب الصدع المعنبر ذات الطيب، وفي الحقيقة أن الشاعر-هنا- وصف المحبوبة، وليس العقرب، ولكنه رمز له بالعقرب ليدل علي شدة لدغات الحب، والعشق، وإن كان الشاعر- في أبياته - نفي شكواه من هذه اللدغات، والآم؛ فقد أنشد الشاعر ابن حمديس قائلاً: الكامل

١ - ديوان شعر ابن حمديس الصقلى، أبو محمد عبد الجبار بن أبى بكر محمد ت [٥٢٧هـ] صححه وقدم له : إحسان عباس. دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٠ م صـ ٤٢

يـا عَقْـرَبَ الصـدغِ المعنبـرِ طيبهـا قلبـــي لَسَـــبْتِ فـــأين مَـــنْ يرقيـــكِ
وحلَلـتِ فـي القَمَـر المنيـرِ فكيـف ذا وحلولُـــــهُ أبـــــداً أراهُ فيـــــكِ
لا تحســـبيني أشْـــتَكي لِعَـــواذلي آلامَ قلبـــي منـــكِ لا وأبيـــكِ (١)

وفي المعاني نفسها؛ أنشد الشاعر الأندلسي ابن حمديس قائلاً: الكامل

قرَنـوا بـوَرْدِ الخـدّ عقـربَ صُـدْغه وذَرَوْا تـــرابَ المســـك فـــوق تربيـــهِ
والعـين حَيْـرَى مـن تـألّقِ نُـورِهِ والـنفسُ سكرَى من تضَوّعِ طيبـهِ (٢)

ومن قصيدة أخرى- في المعاني نفسها- أنشد الشاعر ابن حمديس في وصف لدغات المحبوبة؛ التي شبهها بربة البرق- أي أنها مختفية كما تتخفى العقرب- فلا يراها أحد، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر الأندلسي ابن حمديس قائلاً : الخفيف

رَبّـــةَ البُرْقُـــعِ الَّتـــي فيـــه تَحمـــي وردةَ الخـــدّ عقـــربٌ ذاتُ لســـبِ
قـد مزَجْـتِ العـذابَ لـي فهـو عـذبٌ بـزلالٍ مـن مـاء ثغـرِكِ عَـذْبِ (٣)

وعن عقارب الأصداغ ؛ التي تدب كما تدب العقارب، والشاعر-هنا - يرمز للمحبوبة بالعقارب، وفي هذه المعاني- أيضًا - أنشد الشاعر ابن حمديس قائلاً : الكامل

أَتَـدبُّ فـي جَفنَيـه طائِفـة الكـرى وعقـــاربُ الأصـــداغ ذاتُ دبيـــبِ
وتَنـــامُ فـــي وَردِ الخُـــدودِ ولَـــدغها متســـرّب مـــن أعـــينٍ لِقُلـــوبِ (٤)

وتسكن العقارب الشقوق، والجحور، ويصعب علي الإنسان الإمساك بها؛ ولكن الجاحظ عرض؛ لحيلة للإيقاع بالعقارب، واستخراجها من إماكن إقامتها .

١ - أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن بن محمد (المتوفى: ٥٧٦هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٣م صـ٤٩
٢ - ديوان شعر ابن حمديس الصقلي صـ ١٢
٣ - المصدر السابق صـ ٥٩
٤ - المصدر نفسه صـ٤٩

وأشار الجاحظ في هذا الصدد في كتاب الحيوان، قائلاً :" والعقارب تستخرج من بيوتها بالجراد؛ لأنها حريصة على أكله، تشك الجرادة في عود، ثم تدخله الجحر، فإذا عاينتها العقرب تعلقت بها، ومتى أدخل الكراث في جحرها، وأخرج تبعته، وما معها من نوعها، وهي إذا خرجت من جحرها في طلب المطعم؛ يكون لها نشاط، وعزم، تضرب كلما لقيته، ولقيها من حيوان، أو نبات نشبت فيه إبرتها، وهذه الإبرة مثقوبة فيها السم، والعقارب القاتلة تكون في موضعين: بشهرزور، وعسكر مكرم، وهي جرارات، وهذه العقارب تلسع فتقتل، وربما تناثر من لسعته، أو بعض لحمه، واسترخى لا يدنو منه أحد إلا، وهو يمسك أنفه مخافة أعدائه." (١)

ويبدو أن معظم الشعراء الأندلسيين؛ الذين تصدوا لوصف العقارب في أشعارهم؛ قد سيطرة عليهم النزعة الغزلية في استعارة لدغات العقرب، ولسعاته؛ ليبرزوا شدة الحب، وآلامه، وما تحدثه المحبوبة من حرقة، ولوعة تشبه آلام؛ التي تنجم عن لدغات العقرب.

وكذلك سيطرت عليهم نظرتهم لوجه المحبوبة، ووصف ما فيه من حمرة، وما يدب فيها من حيوية؛ بأنها عقارب الأصداغ؛ وقد تكرر هذه المصطلح لدي كثير من الشعراء الأندلسيين؛ الذين تصدوا لوصف العقارب سواء في قصائد منفردة، أو حتي في مقطوعات شعرية ضمن قصائد غزلية، أو حتي ضمن أغراض شعرية أخرى .

وقد وصف الشاعر ابن الآبار(٥٩٥هـ - ٦٥٨هـ) أذناب العقرب؛ التي تشبه السهام القاتله، والحقيقة أنها إبر نافذة؛ تقتل من تصيبه، وفي هذه المعاني ، أنشد الشاعر الأندلسي ابن الآبار قائلاً : المتقارب

وعَاجَتْ عَلَيْهَا قَواسِي القِسِيّ فَعَبّتْ مِن الْحَيْن في مَشْرَب
وشَالَتْ هُنَاكَ بِأذْنَابِها لِيَاذاً من العقرِ كالعَقْرب

١ - مباهج الفكر ومناهج العبر ، الوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) دراسة وتحقيق : عبد الرازق أحمد أحمد الحربي ، الناشر الدار العربية للموسوعات ، سنة النشر ٢٠٠٠م صـ ٧٢

فَيـــا لِقَســـاورَ قـــد صُـــيّرَتْ قَنَافِـــذَ بالأَسْـــهُمِ الصُّـــيَّب (١)

ومن الأوصاف الذميمة؛ التي اشتهرت بها العقرب، وهي أوصاف معنوية تمثلت في البغضاء، والعداوة للآخرين، وربما أراد الشعراء الأندلسيون، ومن بينهم الشاعر الأندلسي الجزار السرقسطي (؟ه - ٦٠٦ه) أن يظهروا عداوة المجتمع، وبغضه لهم، فرمزوا لتلك البغضاء، وهذه العداوة ببغض العقارب، وكثرت عدواتها للإنسان.

وفي الأبيات التالية، أظهر الشاعر انعكاساته النفسية؛ إذاء بيئته؛ التي لم يشعر فيها بالأمن، والأمان، فربما كان الجزار السرقسطي دائمًا في حالة صراع، وخوف من متقابات المجتمع؛ الذي يعيش فيه، ولا يدري من أين يداهمه الخطر؛ الذي رمز له ببغضاء العقارب، وأذاها، وشرها .

والحقيقة أن هذا الخطر؛ الذي يعنيه الشاعر الجزار، تمثل: في الخطر الاقتصاري، والخطر السياسي، والخطر البيئي؛ الذي ساد الفترة؛ التي عاصرها الشاعر، فهي فترة تقلبات سياسية، واقتصادية، وبشرية ؛ لذا أنشد الشاعر الجزار السرقسطي، يصف علاقته ببعض البشر ممن يظهرون له عين العداء، ببغضاء العقارب، وعدوتها، فأنشد الشاعر الجزار السرقسطي قائلاً : الكامل

وَإذا عَـدا فـي الشَـيء مـرءٌ طـوره فـــبم ادعـــاؤك عـــزة القَعســـاء
وَإذا عَـدا فـي الشَـيء مَـرءٌ طـوره دَبَّـــت إِلَيـــهِ عَقـــارب البَغضـــاء
شَـيئان مـا فـي الأَرض أَوجَـع مِنهُمـا ذلُّ الرَفيـــع وَعـــزة الوَضـــعاء (٢)

وفي المعاني نفسها، أنشد الجزار السرقسطي قائلاً : الطويل

١ الحلة السيراء ابن الأبار، المحقق: الدكتور حسين مؤنس، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م صـ ٢٦٣

٢ - ديوان شعر الجزار السرقسطي، الجزار السرقسطي، تحقيق : مجد مصطفى بهجت، إربد عالم الكتاب الحديث، الطبعة الاولي ٢٠٠٨م صـ١١٣

وَقَـد كـانَ حَقـاً أَن يُراعـيَ وَدَنـا وَلَكـن اِخـوانَ الزَمـان عَقـارِبُ
أَبـا حَسَـن إِن الحَـديث مَسـاقُهُ إِلَيـكَ فَمـا هَـذي الأُمـور العَجائـب (١)

وفي المعاني نفسها- أيضًا- أنشد الشاعر الأندلسي الجزار السرقسطي أبيات أخرى، ولكنه في هذه الأبيات، أبرز قدرة الخالق في منظومة السموم؛ التي في جسم العقرب، وتعجب الشاعر من قدرة الخالق في خلق العقرب، وحياتها بهذا الكم من السموم؛ التي تميت الآخرين، ولكنها لا تميت العقرب .

فحينما تلسع العقرب إنسان، فأنها تموت من ساعتها، ويبرئ الله - عز وجل- الملسوع ، والملدوغ من العقرب، ويؤكد الشاعر علي عداوة البشر بعضهم البعض، وعداوة البشر للعقارب، فأن قدر الله لهذه العقرب الحياة بعد لسعتها البشر، فإن الإنسان سوف يعود للعداوة هذه الحشرة، والبحث عن طرق لقتلها، والتخلص من شرها، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر الجزار السرقسطي قائلاً: المتقارب

تُميـت العَقـارب مِـن حينهـا وَتُبـرئُ مَلسـوعَها يـا لَهـا
وَدريـاق مَنظومـة شُـربُها يُـذيب السُـموم وَأَغوالهـا
فَـإِن هِـيَ دَبَـت إِلـى لَسـعِها وَعـادَت إِلـى الغَـيّ عُـدنا لَهـا (٢)

وقد سارت الشاعرة الأندلسية، أم سعد بنت عصام الحميري (؟ ه – ٦٤٠ه) علي النهج نفسه؛ الذي سلكه الجزار السرقسطي في أبرز مدي عداوة البشر، بعضهم البعض- في أبياته السالفة الذكر، بل لقد زادت أم سعد بنت عصام الحميري علي معاني الجزار السرقسطي؛ حينما أعلنت- وبكل بصراحة- أن عداوة الأخوة، والأقارب أشد عداوة من معادات البشر للعقارب، وفي هذه المعاني، أنشدت الشاعرة أم سعد تقول: مجزوء الكامل

١ - ديوان شعر الجزار السرقسطي صـ ٧٢
٢ - الديوان السابق صـ ١٠٨

آخِ الرجـــــالَ مـــــن الأبـــــا عـــــدِ والأقـــــارب لا تقـــــارِب
إنّ الأقـــــــــاربَ كالعقـــــــا رب أو أشـــدّ مـــنَ العقـــارِب (١)

من مسميات العقرب الزنبور، وقد أشار حازم القرطاجني (٦٠٨ه – ٦٨٤ه) لهذا المسمي في أشعاره ، فأنشد حازم القرطاجني قائلاً : البسيط

قد كانت العقربُ الهوجاءُ أحسّبها قدماً أشدَّ من الزنبور وقعَ حما
وفي الجواب عليها هل إذا هو هي أو هل إذا هو إياها قد اختصما (٢)

وأشار الشاعر– هنا أيضًا - للسموم العقرب الهوجاء؛ التي زعم البعض، أنها أشد وقعًا وخطرًا من سموم الزنبور، ولكن الشاعر حسم القضية؛ حينما أعلن في جوابه، أن العقرب هي الزنبور .

لقد سيطرت علي الشاعر الأندلسي أبي حيان الأندلسي (٦٥٤ه – ٧٤٥ه) أوصاف المحبوبة؛ التي وصف الشاعر صدغها كثيرًا ، بصدغ العقرب؛ وقد أورد الشاعر هذا الوصف عدة مرات - في بعض أشعاره - ومن هذا الوصف ما أنشده الشاعر في وصف المحبوبة قائلاً : الرمل

نـــاظِري للـــوَردِ مِنـــهُ غـــارِسٌ مـــا لَـــهُ لا يَجتَنـــي مِمـــا غَـــرَس
أَصـــبَحت عَقـــربُ صـــدغيهِ مَعـــاً لجنـــيّ الـــوَردِ فـــي الخَـــدِّ حَـــرَس
وَغَـــــدا ثُعبـــــانُ دُبُّوقَتِـــــهِ جـائِلاً فـي عِطفِـهِ مَهمـا اِرتَجَـس (٣)

١ - المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري (المتوفى: ١٣٦٤هـ) الناشر: مكتبة الثقافة، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م جـ ٣ صـ ١٤٥

٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م جـ ٢ صـ ٢٨٠

٣ - لوعة الشاكي ودمعة الباكي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ضبط وشرح وتصحيح : الأديب الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل محمد هارون، الناشر: المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م صـ ٦٦

وزعم الشاعر- في أبياته سالفة الذكر- أن خدي المحبوبة، سارت مثل الورد؛ الذي يشبه لون العقرب، وتعجب الشاعر من عدم جني هذه الخدود، التي زينتها الورود .

وتعجب الشاعر أبو حيان الأندلسي من عقارب خد المحبوبة؛ التي لدغت قلبه بنار حبها، وآلم شوقها علي الرغم من أنها؛ لم تغادر صدغ وجهها؛ واستمر الشاعر في سرد محاسن محبوبته؛ مشبهًا ألم حبها وهواها؛ الذي لا يقوى الشاعر عن الابتعاد عنه، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر أبو حيان الأندلسي قائلاً : البسيط

عَجِبتُ مِن عَقربٍ في خَدِّهِ لَسَبَت ... قَلبي وَما فارَقَت مِن خَدِّه الصُدُغا
وَأَرقمُ الشَعرِ فَوقَ المَتنِ مُضطَرِبا ... قَد جاذَبَتهُ أَكُفٌّ كَيفَ ما لَدغا
عَجائِبٌ قَد أَتَتنا مِن مَحاسِنِهِ ... فَكُلُّ قَلبٍ لِذيّاكَ الجَمالِ صَغا(١)

وفي المعاني نفسها، أنشد أبو حيان الأندلسي، يشكو ألم الحب، وحرقة العشق؛ التي يختلسها الشاعر علي فترات متباعدة ؛ خوفًا من عقارب صدغ المحبوبة، وفي هذه المعاني ، أنشد الشاعر أبو حيان قائلاً : مجزوء الوافر

وَعَقربُ صدغِهِ تَحمي ... جَنى وَردٍ مِن القَطفِ
مَليحٌ ظَلَّ يَحرسُهُ ... رَقيبٌ قَلَّ ما يغفي
فَلا وَصلٌ سِوى نَظرٍ ... بِمُختَلِسٍ مِن الطَرفِ (٢)

وقد وصف الشاعر الأندلسي ابن خاتمة الأندلسي(٧٠٠هـ– ٧٧٠هـ) عقارب صدغ المحبوبة، في موشحة جميلة، فأنشد ابن خاتمة الأندلسي قائلاً: موشح

ضاعَ مِنّي الوَقار ... بينَ كأسٍ تُدارُ وثَغْرِ
عَقْرَبُ الصُدغِ حُفّا ... بريضِ الخُدودِ
يَمْنَعُ الصَبَّ قَطْفا ... غَضِّ تلكَ الوُرودِ

١ - ديوان شعر أبي حيان الأندلسي، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، مكتبة لسان العرب ، الطبعة الأولي ١٩٦٩ م صـ ٢٨٠
٢- ديوان شعر أبي حيان الأندلسي صـ٢٩٢

قَـــــــدْ حَمـــــــــانيَ رَشْـــــــفا فـــــي الرُّضـــــابِ البَـــــرودِ (١)

وقد وصف الشاعر الأندلسي لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣ هـ - ٧٧٦ هـ) العقارب؛ التي لايخف دبيبها؛ حتي أن حرصت علي إطفاء النور، فهي تصيب من تكن لهم العداء؛ مهما كانت أغطيتهم؛ وإن سلبوا هذا الغطاء- أيضًا- وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر لسان الدين ابن الخطيب قائلاً : الطويل

عَـدَتْ عَـنْ مَغَانِيـكَ الْمَشـوقَةِ لِلْعِـدَى عَقَـــارِبُ لاَ يَخْفَـــى لَهُـــنَّ دَبِيـــبُ
حِـرَاصٌ عَلَـى إِطْفَـاءِ نُـورٍ قَدَحْتَـهُ فَمُسْـــتَلَبٌ مِـــنْ دُونِـــه وَســـلِيبُ (٢)

وصف الشعراء العرب العقارب قديمًا، وحديثًا، وبرعوا في وصفها ، والشكوى منها في مختلف العصور الأدبية، وكان من هؤلاء الشعراء مجموعة من الشعراء الأندلسيين .

١- ديوان شعر ابن خاتمة الأندلسي، ابن خاتمة الأندلسي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولي ١٩٩٤م صـ ١٩٦
٢ - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، رحلة ابن بطوطة ، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ) أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، عام النشر ١٤١٧ هـ جـ ٤ صـ ٣٠٣

أهم النتائج :

وقد وجد الباحث من خلال النصوص الشعرية؛ التي نظمها الشعراء الأندلسيين في وصف العقرب؛ سواء كانت هذه النصوص مستقلة الغرض، أو ضمن أغراض أخرى، فأن الشعراء الأندلسيين، انقسموا فئتين في أوصافهم .

فالفئة الأولى: شكت من العقرب، وأظهرت مدى الخوف، والقلق؛ الذي تحدثه هذه الحشرة؛ حينما يشعر الإنسان بوجودها داخل المسكن، ولكن الإنسان، لا يعلم أين توجد، فهل هي بين شقوق الجدران، أو هي عالقة في سقف الدار، أو قد تكون بين أغطيته، وملابسه؛ لذا فزع الشعراء من وجود هذه الحشرة، وشكو منها، وعددوا الأوصاف فيها، وأبرزوا طبائعها، ومدي قدرتها علي قتل أضخم الحيوانات حجمًا الفيل، وكذلك قتل أقل الحيوانات حجمًا، بل زعم البعض أن بعضها، يقتل بعض.

وتعجبت هذه الفئة الأولي من الشعراء الأندلسيين من قدرة الخالق - عز وجل - في خلق العقارب، وما منحها الله لها من سموم قاتلة؛ وعلي الرغم من ذلك، فأنها لا تموت، وهي تحمل بداخل جسمها هذه السموم القاتلة، ولكنها تموت؛ حينما تفرغها من جسمها في جسم الإنسان، أو بعض الحيوانات الأخرى .

أما الفئة الثانية من الشعراء الأندلسيين؛ الذين وصفوا العقرب، فقد مالت أوصافهم للغزل في المحبوبة، ووصف صدغها بصدغ العقرب، ووصف لوعة الحب، وألم العشق بلدغات العقرب، ولسعاته، وتشبيه حرقته بحمم العقارب، وسمومها .

وأيًا كان وصف الفئة الأولي، أو الفئة الثانية فأن الشعراء الأندلسيين؛ وصفوا العقارب، وأبرزوا صفاتها، وشكوا من خوفهم منها، وفزعهم، وتغزلوا ببعض صفاتها في المحبوبة، وأيًا كانت أسباب نظمهم في العقارب؛ فقد وصفوها مرورًا في عدة فترات تاريخية متفاوتة، وقد بدا ذلك واضحًا من خلال الشعراء الأندلسيين؛ الذين تصدوا لذلك؛ ويبدوا ذلك واضحًا في فترات حياتهم المختلفة.

المصادر:

- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه السِّلَفي الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦هـ) المحقق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٣م.
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفاررحلة ابن بطوطة،ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ) أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،عام النشر ١٤١٧هـ .
- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتاني الطيب، أبو عبد الله محمد بن الحسن (المتوفى:نحو٤٢٠هـ) المحقق: إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨١ م ه.
- الحلة السيراء ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) المحقق: الدكتور حسين مؤنس،دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م .
- الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ) المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر ،بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- حياة الحيوان الكبرى، الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى، تحقيق:أحمد حسن بسج، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- الحيوان، الجاحظ،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤ هـ.
- ديوان شعر ابن الرمادي يوسف بن هارون الرمادي ، جمعه وقدم لع : ماهر زهير جرار، بيروت، المؤسسة العربية الدراسات والنشر، الطبعة الأولي سنة ١٩٨٠م.
- ديوان شعر ابن اللبانة ، ابن اللبانة الداني ، تحقيق : محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، سنة النشر ٢٠٠٨م .
- ديوان شعر ابن حمديس الصقلى، أبو محمد عبد الجبار بن أبى بكر محمد ت [٥٢٧هـ] صححه وقد م له : إحسان عباس. دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٠ م.

- ديوان شعر ابن خاتمة الأندلسي، ابن خاتمة الأندلسي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولي ١٩٩٤م
- ديوان شعر ابن زيدون ، ابن زيدون ، تحقيق : يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثانية سنة النشر ١٩٩٤ م.
- ديوان شعر أبي حيان الأندلسي ،أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، مكتبة لسان العرب ، الطبعة الأولي ١٩٦٩ م .
- ديوان شعر الجزار السرقسطي ، الجزار السرقسطي، تحقيق : مجد مصطفى بهجت، إربد عالم الكتاب الحديث، الطبعة الاولي ٢٠٠٨م
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) المحقق: حاتم صالح الضامن ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ -١٩٩٢م) .
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (المتوفى: ٦٥١هـ) هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١ هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بناية برج الكارلتون - بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى عام ١٩٨٠م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه : محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- شرح شافية ابن الحاجب ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ) حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما : محمد نور الحسن المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، محمد الزفزاف - المدرس في كلية اللغة العربية، محمد محيى الدين عبد الحميد - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد (المتوفى: ٢٤٧هـ) طبعة: مصر عام النشر: ١٢٨٤هـ - ١٨٦٦م .

- الكشكول، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (المتوفى: ١٠٣١هـ) المحقق: محمد عبد الكريم النمري ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى(١٤١٨هـ -١٩٩٨م)
- لوعة الشاكي ودمعة الباكي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ضبط وشرح وتصحيح : الأديب الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل محمد هارون ، الناشر: المطبعة الرحمانية، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م .
- مباهج الفكر ومناهج العبر ، الوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) دراسة وتحقيق : عبد الرازق أحمد الحربي ، الناشر الدار العربية للموسوعات ، سنة النشر ٢٠٠٠م.
- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري (المتوفى: ١٣٦٤هـ) الناشر: مكتبة الثقافة، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) المحقق: مفيد محمد قمحية : دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

***المراجع :**

- موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، عبد اللطيف عاشور، القاهرة ، سنة النشر ٢٠٠٠م.
- وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، حازم عبد الله خضر، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد سنة النشر ١٩٨٧م.

المواقع الالكترونية:

- موقع ستروم " لخدمات التعقيم ومكافحة الحشرات والآفات العامة" بعنوان " لماذا توجد العقارب في منزلي ؟ وكيف أتخلص منها ؟ بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠٢٣م
- موقع المرجع ، أنواع العقارب الطائرة وأسمائها بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/١م